مكتبتي ٧

رسالة من كوكب الأقزام

بقلم : لهدى مصطفى عبد الحميد
رسوم : منال بدران

دار المعارف

تصميم الغلاف

محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل ج . م . ع .

كَانتِ الشمْسُ ساطعةً والجو صحْوًا، فذهَبَ «نـادِرٌ» إلَى وَالـدِه قَـائلاً: اليـومَ عطلتكَ يا أبي وأُريدُ الخرُوجَ للتّنزُّهِ! ابتَسمَ وَالدهُ ثم قـالَ فـي حنـوٍّ: حسـنًا يـا بُنَيَّ هيَّا بنَا نخرُج فِي نزهَةٍ إلَى الحديقَةِ القريبةِ فنحـنُ محظُوظُـونَ لِقربـها مِـن منْزِلنَا!

وَفِي الحديقةِ لم يكنْ «نادِرٌ» يقضِي وقتَه كلَّه فِي الجرْى والقفْـز ولكنَّـه كـانَ يُحبُّ أنْ يتجوَّل فِيهَا ليسْتَمتِعَ بمشَاهَدَةِ الشجيْراتِ الصغيرَةِ والزهُور الملوَّنةِ وقد تعدَّدَتْ ألْوَانهَا وأشْكالُهَا. كانتْ تبْهَرُه فيقْضِي وقتًا طويلاً يتأملُهَا فـي إعْجـابٍ واستمتاعٍ بينما يجلِس وَالدُه يرُاقِبهُ عنَ بعْدٍ وهو يتصفَّحُ جَريدَتَهُ.

نظَر «نادِر» فِـي اتجـاهِ وَالـدِه هاتفًـا: انظُـرْ يـا وَالـدِى. هـذِه فَراشَـةٌ رائِعـةُ الألْوَانِ!

لكنَّ وَالِدهُ لم يسْمعْه، وطَارتِ الفَراشَةُ مبتعِدَةً فابْتعَد «نادِرٌ» وراءَهـا يتَابعـهَا ببصَرِه لا يُريدُهَا أن تغيبَ عنْه.

ظلت الفِرَاشَةُ تنتَقِلُ منْ زهرةٍ إلى أخْـرى ومِـنْ شـجَيرةٍ إلى أخْـرَى وَ «نـادرٌ» وراءَها يتَابعُها فِي سعَادَةٍ غَامِرَةٍ حتَّى حطَّت الفَراشَةُ فوْق زهْـرَةٍ كبـيرَةٍ مُتَفتِّحـةٍ بديعَةِ الألْوان فاقْـتَرَبَ «نـادِرٌ» بنـهَا بـهُدوءٍ حتـى لا تطير وجَلـسَ القُرْفُصَـاءَ يتأمَّلُـهَا عـن قـربٍ وبيْنمَـا هـوَ يُشَـاهِدُهَا إذَا بـه يـرَى شـيئًا مَـا يتحـرَّكُ بيْـنَ الأعْشَابِ.

تراجع «نَادر» بسُرعَةٍ ظنًّا منهُ أنَّها جرَادةٌ أو حَشَرةٌ صغيرةٌ ولكنَّه دقَّق النظرَ فإذَا به يرَى شيئًا لم يَرَ مثلَه فى حيَاتِهِ.

كانَ مخلُوقًا صغيرًا فِي حجْمِ عقْلةِ الأَصْبُعِ يقْفِزُ بيْنَ أوراق النباتَاتِ ويخْتَبـئ بيْنهَا، فتح «نادر» عينيْهِ فى دَهشَةٍ وهُو لا يُصَدِّقُ ما يَرَاهُ فقَرَّب رأسَهُ مِن ذَلِكَ

القَـزْمِ الصَّغِيرِ الأخْضَـرِ اللَّـونِ والَّـذى يقبـعُ خلْـفَ إحْـدى الورَقَاتِ المُفلطحَـةِ ظَنًّـا مِنـه أنَّ «نادرًا» لا يرَاهُ.

أغْلَـقَ «نـادرٌ» عينيـه وفَتحـهمَا عـدَّة مـرَّاتٍ وهُو لا يُصـدقُ مَا يَرى ثمَّ مدَّ يـدَهُ بهُدوءٍ شَـديدٍ حتَّى وصلَت إلى القزْمِ ثم قبضَ كفَّهُ عليْه فأمْسَك بهِ بين أصَابعِه ثم قرَّبَـه يتَأمَّلُـه فِي تعَجُّبٍ شديدٍ ودهْشَةٍ أشَد فإذَا بالمخلُوق الصَّغِير يضَعُ يدَيْـهِ علَى عيْنيْهِ وَيبْكِي فِي صوْتٍ ضعِيف سَمعَهُ نـادرٌ؟. كـانَ بُكَـاؤُهُ يُشبهُ بكَاءَ طفْل رَضيعٍ ولكنَّه كانَ ضَعِيفًا فقرَّبـه نَـادرٌ مـنْ أذُنِـه حتى تأكد لَهُ أنَّ المخلوقَ يبكِي فنظرَ إليه مُتَفَحِّصًا فـرَآه يـذرفُ دُمُوعًـا خضـرَاءَ دقيقـةً كَقَطـرَاتِ النـدَى مـلأَتْ وجْهَـه حتـى تسـاقطَتْ علـى يـدِ نـادر ثـم سَمعه فَجْـأةً يقُـول فـى صـوتٍ ضعيفٍ:

أرجُـوكَ أنْ تـترُكَنِى أيُّـها الأرْضِـىُّ.
أرجُـوكَ لا تُؤْذِنـى فأنـا مَـا آذيتُـكَ،
ازدَادتْ دهْشَـة «نَـادر» واتسَـعَت عيْنَاهُ أكثرَ ثم وجدَ نفسَه يقُولُ:

ما هذَا؟! هـلْ تحدثُـت إلَـىَّ أيُّـها المخلُـوقُ العجِيـبُ أمْ أنَّنِى أتوَهَّمُ؟!

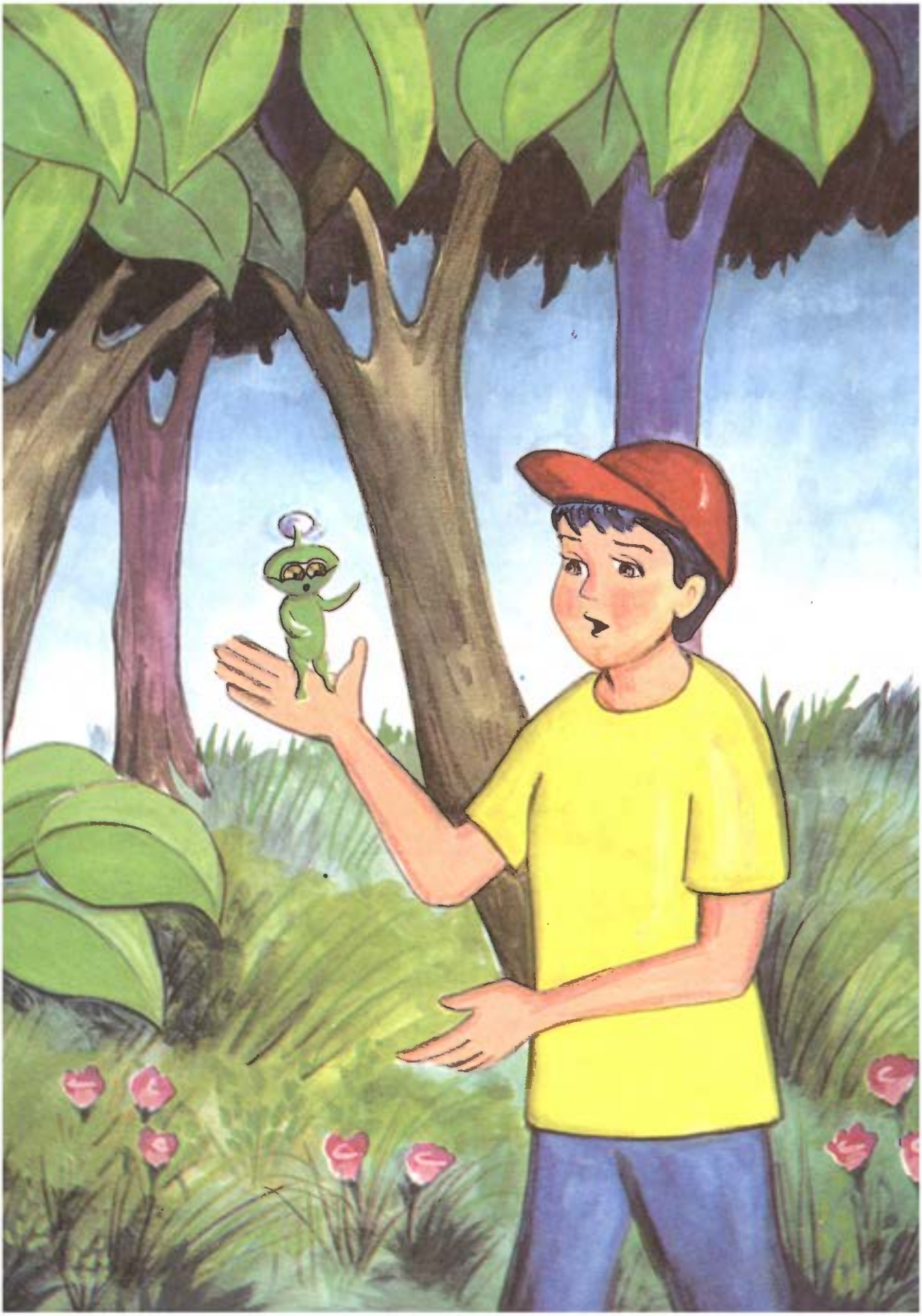

مسَحَ المخلوقُ دمُوعَهُ بكفَيهِ العجيبَتَيْن قَائلاً: أجَـل أنـا أتحـدَّثُ إليْـكَ أيُّـهَا الأرْضِيُّ متوسِّلاً بأنْ تتركَنِي أن أرْحَل فِي سلاَم، قال «نادرٌ» وهو لا يزالُ غـيرَ مُصَدِّق ما يَرَى ومَا يسْمَع: ماذَا تكونُ؟! قالَ المخلُوقُ بسُرْعَةٍ: إنَّنى صديـقٌ مِـنْ سكَّانِ الكوْكَبِ الأخْضَر حضرت فِي مُهمَّة سِلمِيَّةٍ إلى كوْكبكُمْ ولَوْ تركْتَنِي سأعُود ورفَاقِي فِي سِلاَم دُون أن نُسبِّب لكمْ أىَّ إزْعَاجٍ..

ابتلع «نادرٌ» ريقهُ فِي ذهول ثم قالَ: الكوْكَبُ الأخضـرُ!! أيـنَ يوجـدُ ذلـك الكوْكبُ؟! وكيْفَ حضرتم؟! وأيْنَ هم زُملاَؤُكَ؟! وماذَا يريدُونَ مِن كوْكبنا؟!

فجأةً استغرق القَـزْمُ فِـى الضَّحِـك بعـد أنْ كـانَ يبْكِـى ثـم قـالَ: أنْتـم أيُّـها الأرْضِيُّونَ تحبُّون الأسْئِلَة تسْألُونَ أكثر مما تعْملُونَ فما الـذِى يُفيدكـم أن تعلمُـوا أكثر مِما تعْملُونَ؟! سأُجِيبك عنَ أسْئِلتكَ وَاحدًا تِلَـو الآخَـر فأَنَـا لمْ أنـسَ واحـدًا مِنْهَا لأَنَّنِي قوىُّ الذَّاكـرةِ ولَـم تتـأثر ذَاكِرتِـى بـهَواءِ مُلَـوَّثٍ بعـد لتضعُـفَ مثـلُ ذَاكرَتكُمْ أيُّها الأرضِيُّونَ. أمَّا كوْكبنَا فهُو كوْكَبٌ أخْضَرُ اللَّـون شَـديدُ البُعْـدِ عـن كوْكَبكُمْ بلْ إنهُ خارجُ مجرتِكمْ النجمِيَّـةِ كلِّـها، أمَّـا كيـفَ حضرْنَـا فـإنَّ عندَنَـا مركباتٍ معدةً لذَلك ولوْ تركتَنِى فأَنَا أعِدُكَ بأَنْ أريها لكَ إنَّ زُملاَئِى كـلَ يُـؤَدِّى مُهمتَهُ فِى مَكَان مَا مِنَ الأَرْض وسنتَقابَلُ فِى موْعَدٍ محدَّدٍ لنعُودَ مَعًا كمَـا أتيْنَـا، أمَّا مَا نريدُهُ منْ كوْكبكُمْ فهىَ أشْيَاء لَم تَعُدْ تهُمكُمْ بـالمرَّةِ، فنحْـنُ نَـأتِى إلَى هنَـا كلَّ بضْعَةِ مِئاتٍ مِن السِّنِينَ فنَأخُذُ كميَّـةً مِـنْ مَـادَّةِ «الكلُورُوفيـل» التـى تلـوِّنُ أشجارَكمْ باللَّوْن الأَخضَر، نحصُلُ عَلَى هَذِهِ المادَّة وَنركِّزهَا ونَحقِنُهَا فِى أنَـابيبَ ونَأخُذهَا مَعَنَا إلَى كوْكبنَا. قَاطَعَهُ «نادرٌ»: ومَاذَا تفعَلُونَ بهَا؟

أجَابَ القَزْمُ: إنَّها تعْتَبرُ بالنِّسبَةِ لنَا مادَّةً شَـافِيةً مـنْ جَمِيـع الأمْـرَاض وهِـىَ مُفِيدةٌ لنَا للغَايَةِ أنتُمْ لاَ تعْرِفُونَ قِيمَةَ كُلِّ هذِهِ الأَشْجَار الخَضْرَاءِ التـى تهمِلُونَـها وتقطعُونَها، أنتُم ترْتكبُونَ فِى حقِّ أنْفُسِكُمْ خَطأً فَادِحًا فأنْتُم تُبيدُونَ الحيَـاةَ مِـنْ حَوْلِكُمْ دُونَ أنْ تشْعُرُوا.

قالَ «نادرٌ» مُتعجبًا: نُبيد الحيَاةَ؟ مَا الَّذِى تَقُولُ أيُّها القزْمُ العَجِيبُ؟

بدَأ القزْمُ يبْكِى فجْأةً قَائِلاً: لقَد رَأيْتُ فِى هَذِهِ الرِّحلةِ أشْيَاءَ رهيبةً وَمحزنةً، رأيْتُ عنْ بُعْد مِنَ الفَضَاءِ أنَّ المساحاتِ الخضـراءَ قـدْ قلَّـت فِـى الأَرْض وَعندَمـا هبَطْتُ علَى الأَرْض نفْسها عرفْتُ السبَب ثم توقَّفَ القزْمُ فجْأةً عن البُكَاء قَائلاً: هلْ تأْتِى مَعِى لأجْعلَكَ تشَاهِدُ مَا شَاهَدتُهُ؟

نظرَ إليْه «نادرٌ» وهُو يطْبق كفَّهُ عليْهِ قَائلاً: إلَى أيْنَ؟

أجَابَهُ القزْمُ: نجُوبُ أنْحَاء الأَرْضِ لأَشْرَح لكَ حَدِيثى علَى الطَّبيعَـةِ.. أليْسَ ذَلِك أفْضَلُ؟!

نظرَ إليْهِ «نادرٌ» فى مكر قَائلاً: أنْتَ تخْدَعُنِى كَىْ أترُكَكَ أيُّـها القـزْمُ المَـاكِرُ فكَيْفَ نجُوبُ أنْحَاءَ الأَرْضِ فَإمَّا إنَّك قزْمٌ خبيثٌ أمْ قزْم مجْنُونٌ.

بدَأ القزْمُ فِى الضَّحِكِ بشِدَّةٍ ثمَّ قالَ «لنَادِر» وهُوَ يُخرِجُ منْ بيْن أصَابعِه زهرَةً حمرَاءَ كمَا يُخرِجُ السَّاحِرُ الكرَات من الهَواءِ فِى ألْعَابِ السيْرَكِ: خذْ هَذِه الزَّهْرَةَ وامْضغْهَا وستُصبحُ فِـى مثْـل حجْمِـى وحينئِـذٍ أسْـتَطيعُ أنْ أصْحَبَـك مَعِـى فِـى فُقَاعَتِى ونَرى كلَّ مَا نُرِيدُ ثم أعِيدُكَ هُنا مرَّة أخْرَى. فَما رأْيُك؟!

نظَرَ «نادرٌ» إلى الزَّهْرةِ فِى دهْشَة وقَدْ اتسـعتْ عيْنَـاهُ لحدِيـثِ القـزْمِ ثـم مـدَّ أصَابعَهُ إليْها وَهِىَ تَرتَعِشُ فَالتَقطَهَا يتَأمَّلها ثم قَالَ: هل تقوُلُ إنَّنِى لـوْ مضَغْـتُ هَذِه الزَّهْرَةَ أصبحُ صَغِيرًا مثْلكَ!!

اشْتد ضَحكُ القزْم قائِلاً: فلْتُجربْ يَا عَزيزِى ابتَسمَ «نَادر» وهُو يتخَيَّلُ نفْسَهُ بحجْمِ ذَلِك القزْم ثم مدَّ الزهرَة إلَى فَمه غيرَ مصَدِّق مَا قالَـهُ القـزْمُ كَـانتْ حُلـوَةَ المذَاق كَقطْعَةٍ مِنَ الحلوَى وَلَكِنَّه أخْطأ حِينَ وضَع فِى فمِه شيئا لا يعْرف مَا هُـوَ فقدْ رأى فجْأَةً الأَشْيَاء تدُورُ مِن حَوْلِه ثمَّ شَعرَ بأنَّه هُوَ الَّذِى يدُورُ بسُرْعَةٍ، ثمَّ

شَعر بدُوخَةٍ شَدِيدَةٍ أفَاقَ بعدَها على نفْسِه وكأنَّه يسْقُط مِنْ مَكان مرْتفِع وَعندَمَا فتحَ عيْنيْهِ وجَد نفْسَهُ وَقدْ سَقطَ وَسطَ الحشَائِشِ وَإلى جِوَاره القـزْمُ الأَخْضَرُ وقَدِ اسْتلقَى عَلى ظهْرِهِ من شدَّةِ الضحِكِ.

تلفَّت «نـادرٌ» حولَه فَإذَا بـأَعْوَادِ الزُّهُور وكَأنَّـها نخـلاتٌ عَالِيـاتٌ وَإذَا بالحشَائِش منْ حوْلِه وكَأنها أشجارٌ مُورقةٌ وعندَمَا أظْلَمتِ الدُّنيَـا فجْـأةً لم تكُنْ سِوَى الفراشة وقَد حلَّقتْ فوقَ رأسَيْهمَا فحجبَـتْ عنـهُمَا الشَّمْسَ، تقدَّمَ القـزْمُ يسَاعِد «نَادرًا» فى النهُوضِ منْ علَى الأرْضِ قَائلاً: هيَّا بنا إلَى حيْث أخفَيْتُ فُقاعَتِى.

سَارَا قليلاً بين الحشَائِش حتَّى وصَلاَ إلَى نباتٍ ذَات أوْرَاق عَريضَـةٍ مُفَلْطَحَـةٍ فرفعَ القزمُ الورقَةَ واندَفَع مختَفِيًا خلفَهَا وبعْد برْهَةٍ خرجَ دَاخِلَ فقَّاعةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الهوَاءِ وقدْ جلَس بداخِلها وكأنَّها سيارةٌ صَغِيرةٌ ثمَّ مدَّ يدَهُ جَاذِبًا «نَادِرًا» الَّـذى وجَد نفْسَهُ معَ القزْمِ دَاخِلِ الفُقاعَةِ ثم انْطَلَقت الفقاعَةُ تُحلِّق فِى الهـوَاءِ بسـرعَةٍ مُذْهِلَةٍ فمَا هِىَ إلاَّ لحظَاتٌ حتى كانت تحلِّقُ عنْـدَ قِمَـم الأَشْـجَار وإذَا بالرُّؤْيَـةِ تَضْعُفُ وكَأَنَّ هُنَاكَ ضبابًا أوْ دخَانًا كثِيفًا. قال «نـادِر» بسـرعَةٍ وقـدْ تلاَحَقَتْ أنفَاسُه: مَا هذَا الضَّبَابُ؟؟.

قالَ القزْمُ فى حُزْن: هذَا ليْـسَ ضَبَابًـا وَإنمـا أنْـتَ تـرَى هوَاءكُـمُ المُلَـوَّثَ لأن الهوَاءَ دَاخِل الفُقَّاعَةِ نَقِيٌّ تمَامًا ثم قالَ وَقدِ ازْدَادَ حزْنُهُ: هذَا أوَّلُ مَـا تـرَى مـنْ أفْعَالِكم أيُّها الأَرضِيُّونَ فانتَظِر حَتى تَبتْعدَ أكْثر وترَى أكْثر.

كَانتِ الفقَّاعةُ ترتَفِعُ بسُرعَةٍ تفُـوقُ سُـرعةَ انْطِـلاَق صَـارُوخٍ ثـمَّ بـدأتْ الرؤيَـةُ تَتَّضحُ شيْئًا فَشَيْئًا فى طبقَاتِ الهـوَاءِ العلْيَـا، نظَـر «نـادِرُ» أَسْـفَلَهُ فـإذا بـالمدُن والْقُرَى تبدُو بعِيدةً يُحيطُ بهَا ضَبَـابٌ كَثِيـفٌ يجْعَلـها غـيرَ وَاضِحَـةٍ ثـم بَـدَأتْ الفقَّاعَةُ تَتَحرَّكُ باتجاهِ أفُقِى، كَان القزمُ يخرجُ من بينِ أصَابعه فقَّاعَـاتٌ صَغِيرَة ملوَّنَةٍ فيتغيرُ اتّجاهُ الفُقَّاعَةِ كمَا يُرِيدُ.

قالَ القزْمُ: انظُر إلَى الأَرْض وَابْحَثْ مَعِى عَن اللَّوْن الأَخضر سَتجدُه قَلِيلاً. لم يَعُدْ يتنَاسَبُ معَ المِسَاحَاتِ الأُخرى الصحْرَاوِيَّة أو المتلِئَةِ بالمنَازِل والطُّرقات.

عندمَا رسَم لنا أجدادُنا خريطة كَوْكَبِكُمْ منذ آلافِ السِّنين كانَت تختَلِفُ كثيرًا عَنها اليومَ، فقَدْ كَان اللَّونُ الأَخْضَرُ يُغَطِّى أغْلبَ مسَاحَاتِ الأَرْض وكَانَ كوْكَبُكُمْ يبدُو شدِيدَ الجَمال وقدْ اختلطتْ خضرةُ أرْضِهِ بزُرْقَةِ بحَاره ومحيطاتِه، أما الآنَ فقد اختْلَفَ الأَمْرُ.

مرَّت الفقَّاعَةُ أعْلَى النَّهر فقَال «نادِر» مبهُورًا: يا لَهُ من منْظَر جَميل، إنَّ النهرَ الضخمَ يبْدُو كأنه أفْعَى ضخْمَةٌ فقاطعَه القزْم قَائِلاً: لكنَّها رمَادِيَّةُ اللَّوْن، لمْ تَعُدْ زرْقَاء أيُّها الأرضِيُّ!!

سألَه «نادر» : ماذَا تعْنِى؟!

اقترب القزْمُ بالفقَّاعَةِ مِنَ الأَرْض فشَاهدَا معًا بعْضَ النَّاس يُلقُونَ بالقمَامَةِ فِى ميَاهِ النَّهْر وعَن بُعد كَانَ أحدُ المصَانِع ينْفث مخلفَاتِه به فيبدُو كزجَاجَةٍ منَ الحبْر الأَسْوَدِ تنْدلِعُ مُعكِّرةً الماءَ العذْبَ. قال القزْمُ: هلْ رأيْتَ ما أعْنِى؟! أرجو ألاَّ تحزَنَ يا صَديقى لوْ قلت لَكَ إنَّ أجدَادَكم كَانُوا أكثرَ مِنْكُم ذكاءً فقَدْ حافظُوا علَى مِياهِهم نظيفةً دُونَ أنْ يلوِّثُوهَا.

ارتفَعَتِ الفقَّاعةُ مِنْ جَديدٍ وقَدْ بدَا الحزْنُ علَى وجهِ «نادر» وبعْد أن ارتفَعَتِ للغَايَةِ وقَطعَت مسافَات طَويلَة اقترب القزْم مِن الأَرْض لتِبدُو مسَاحَاتِ خَضرَاءَ «شاسِعَةً» فابتسَم «نادرٌ» قَائلاً: انظر.. إنَّها غَابَاتٌ خضرَاءُ كثيفة فقطَّبُ القزْمُ جَبينَهُ مُشيرًا إلَى مكَان بدَا عَنْ بُعْدٍ قَاحِلاً ثم قالَ: انظر يَا صَديقى! هذَا المكانُ القاحِلُ كَان غابَة خضْرَاء اقتطعتْ أشْجَارُها بالتَّدريج لتُصْبحَ هَكذَا وقريبًا ستُصْبحُ كُل هَذِه الغابَاتِ قاحِلَة لَو استَمر الأَرْضِيون فى قَطع الأشْجَار بلاَ مبالاَةٍ.

ثم أجهَشَ القزْمُ بالبُكَاءِ فنظرَ إليهِ «نَادِر» مندهشًا ثم قَال: مـاذَا حَـدثَ؟! أنتَ تبْكى بسرعَةٍ وتضْحَكُ بسُرعةٍ، فماذَا حدث الآنَ لتِبْكِى؟!

قالَ القزْمُ من بين دمُوعِـه: حتى الحيَوانَـاتِ الجمِيلَـة أصْبحْتُـم تُبِيدُونَـها وتعْملُونَ علَى انْقِرَاضِهَا إمَّا باصْطِيَادِهَا بلاَ حِسَابٍ وإمَّـا بالقضَـاء علَـى البيئـاتِ التى تعوَّدَت الحياة فِيها، ألاَ تفهَم أنَّ كُلَّ هَذِه الغابَاتِ التى اخْتَفَت، اخْتَفَتْ معَها حيَوانَاتها الجمِيلَـة وأصْبَـح العديـد مِـن سُـلاَلاَتِها مُـهَدَّدًا بِـالانقِراض مـنْ كَوكَب الأَرْض كله.

فجْأة مسَحَ القزْمُ دمُوعَه ثمَّ تلفَّت حوْلَهُ فِى فزَعٍ قَائلاً: ماذَا حدَثَ؟! إنَّ أحَد أصْدِقَائِى يريدُ مقَابلَتِى بسُرْعَةٍ. ثم انْحرَف القـزْمُ بالفُقاعَـة عـنْ مسَارهَا وأسْـرَعَ حتى وَصَلَ إلَى أحَدِ الشوَاطئِ المنعزلَةِ وعلى الرِّمَال الذَّهبيَّةِ اسْتقرَّت الفقاعَةُ التى كَانَتْ تتحَرَّكُ بسُرْعَةٍ لم يسْتَطِعْ معَها «نَادر» أنْ يرَى مَا حولَـه حتَّى توَقَّفَت تمَامًا فتلفَّتَ حوْلَهُ فَإذَا بفُقَّاعة أخْـرَى بدَاخِلِـها قـزْمٌ آخَـر قـدْ هَبَـط مِنـهَا فِـى اتجاهِهما، هبط «نادرٌ» بصَحْبَةِ صَديقه القزم الذِى قال فـى مـدْح للقـزْمِ الآخـر أقدِّمُ لكَ أحَدَ أصدقائِنا الأَرضِيينَ فرحب القزْمُ «بنَـادر» وقـدْ بـدَا علَـى وجْهِـه حزْنٌ عَمِيقٌ فسَألَه «نادرٌ» ماذَا بك أيُّها القزْمُ الفستقى؟!

فقال القزْمُ الأخْضَرُ وقدْ قطبَ جَبينَه فجْأة: ما الذى حـدَثَ؟ لقـدِ انْزعَجْـت مِنْ رسَالَتِكَ.

قالَ القزْم الفستقى: أريدُ أنْ أُغَادِرَ ذَلك الكَوْكَبَ لاَ أسْتطِيعُ البقَـاءَ هنَـا أكْـثرَ مِن ذَلِكَ.. أنَا أشْعُرُ باخْتِنَاق شَدِيدٍ..

هزَّ القزْمُ الأخْضرُ رأسَهُ بأَسىً قَـائِلاً: أجَـل لقد أصْبحَ ذَلِـكَ الكوْكَـبُ مُلَوَّثًـا بدرَجَةٍ خَانِقَةٍ..

فهتَفَ القزْمُ وقدْ أجْهَشَ بالبُكَاءِ قائلاً: أنَـا لاَ أقصـد الهَـواءَ والمـاءَ الملـوَّثَ أو اخْتِفَاء اللَّـوْنِ الأخضَـر الَّذِى أتيت مِنْ أجْلِه! أنا أعنى الأرضِيِّين أنْفُسَهُم لقدْ

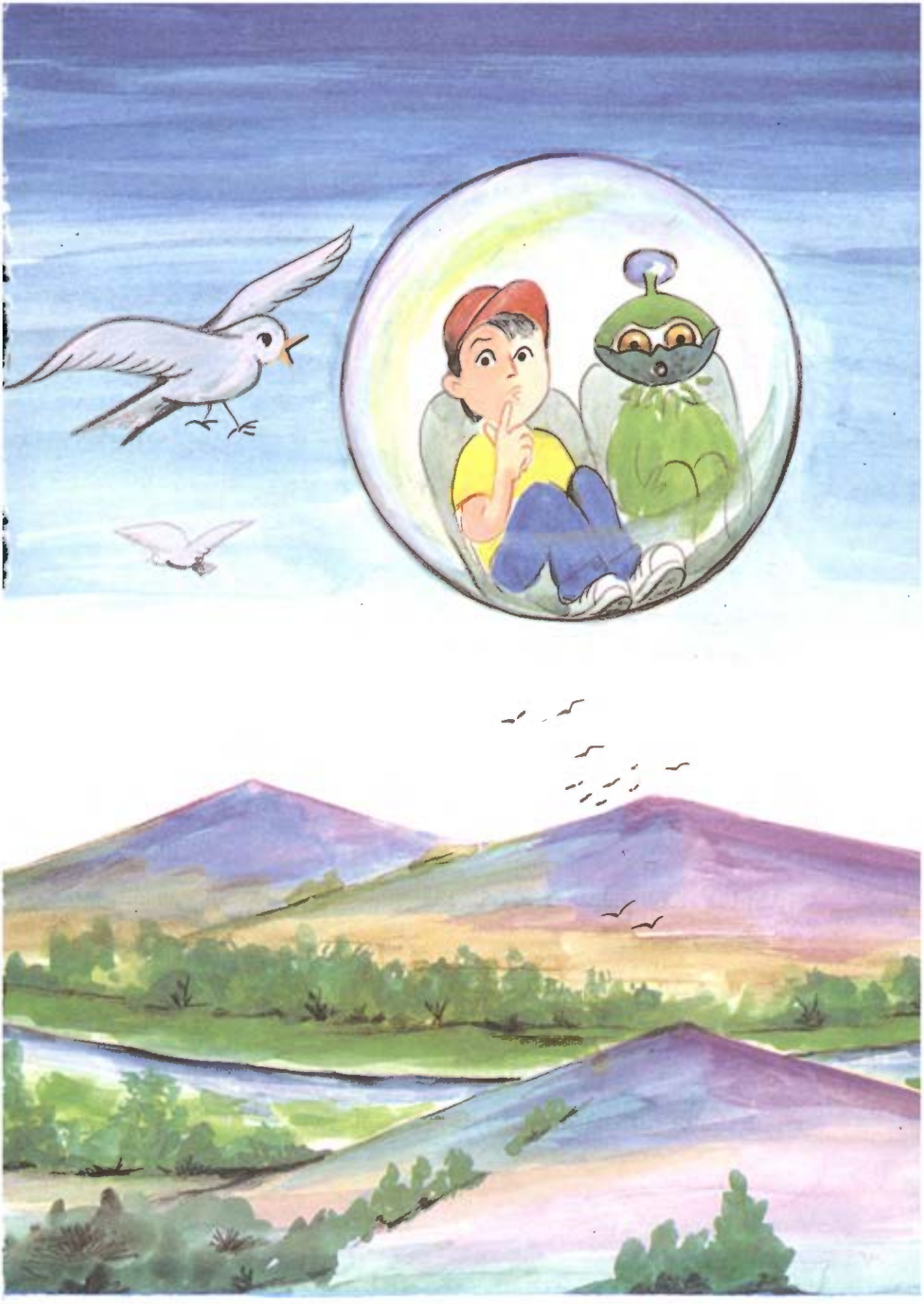

لوَّثُوا قلُوبَهُم أيْضًا.. رَأيْت أطفالاً يموتون جُوعًا وآخرين يمُوتُونَ مِنَ البرْدِ، رأيت حرُوبًا وقِتَالاً فى كل مكان مَررتُ به ثم اخْتَنَقَ صَوْتُهُ الرَّقِيقُ بالدُّمُوعِ وهُوَ يقُولُ: لم يَعُدِ الأَرْضيُّونَ يُحبُّونَ السَّلامَ كمَا قالَ لنَا عنهُمْ أجدَادُنا، إنَّهم يقتلُون بعْضَهُم البَعْض بلاَ سَبب ويُشْعِلُون النَّار، ويهْدِمُونَ المدُنَ والقُرَى ويُطْلِقُونَ تِلْكَ الأسْلحَة القَبيحَةَ التى صَنعُوهَا فى كل اتجاهٍ، ألاَ يشعرُونُ أنهُم يُدَمِّرونَ كوْكبَهُم، إنهم يحرقونَ مِئات اللِّتْراتِ منْ تِلْكَ المادَّة الخضراءِ الشافية التِى تكفِينَا أنبُوبة مِنها لنكُونَ سُعَدَاءَ وأصِحَّاء لسنواتٍ طويلةٍ علَى كوْكبنَا، إنَّهم يَهْدرُونَ كلَّ ما لديْهم مِن أشياءَ جَميلةٍ لقد اتصَلت ببَاقِى الرِّفاقَ وَلْنكْتَفِى بمَا جمعْنَا من مادَّةِ الكُلُورُوفيل ونعُودُ فوْرًا إلى كوكبنَا قبلَ أنْ نحترقَ علَى ذَلِكَ الكوْكَب.

بدَا الحزْنُ علَى «نادر» فقالَ القزْمُ الأخْضَرُ: لقَد أحْزَن حديثُكَ صَدِيقى ولكنَّها الحقيقةُ وهذا مَا يحزن أكْثر.

قالَ القزْمُ الفُسْتُقِى: فلْيَنْضمَّ صَديقُكَ إلَى بَاقِى أصْدقَائِنَا منَ الأرْضِيينَ فقد نبَّهنَاهُم جَمِيعًا إلى الخطَر الذى يُحَدِّقُ بكوْكبهم.

سَأَل «نادرٌ» فى دهْشَةٍ: وهلْ لَكُم أصدقاءُ مِن البشَرِ أيُّها الأقْزَامُ؟!

أجابَ القزمُ الأخضرُ: أجَل وهُم يكتمُونَ أمْرنَا ولَكِنَّهم يُحَاولُونَ إيقافَ كلِّ هذِه الأَخطاء التى تحدث لِكل واحدٍ منْهُم فِى مجَالِه.

قال القزم الفسْتُقِىُّ وهُوَ يتلَّفتُ حوْلَهُ: هيا يا صَدِيقى فقد اتصَل بى الرِّفَاق وقد تجمَّعُوا عندَ المركَبَةِ ويجب أنْ نرحلَ الآن.

فقال القزم الأخضر: بلْ يجب أنْ أُعِيدَ صَدِيقى مِن حيْث أتى أوَّلاً.

قال «نادر» بسُرعة: لقد وعَدْتَنِى أنْ ترِينى مَرْكَبَتكُمْ لوْ تركتك ترحَلُ فِى سلاَم.

قالَ القزْمُ: ولَكن إذَا رحَلْتُ وَرفَاقِى فَمَنْ يُعِيدُكَ إلَى مَدِينتكَ.. إننا نبعدُ عنهَا مِئاتِ الأَمْيَال.

بدَا علَى «نادر» الحزن فقالَ القزمُ بسُرْعةٍ: حسنًا سأَجِدُ لِذَلِك حَلا.

فابتسم «نادر» ابتسامة وَاسِعَة. ضَحِكَ القزْمُ بشدَّة قَائِلاً: لقدْ أصْبحْتَ مثْلَنَا تحزَنُ بسُرْعَةٍ وتفرَح بسُرْعَةٍ.

قال «نادر»: أرْجُو أن تُفهمَنِي ذَلك قبل أن ترْحَلَ.

قالَ القزْمُ وهُو يضْحَكُ: يا صَدِيقى الأَرْضِى إنها مَسْأَلة بَسيطَةٌ عِندَمَا يَكُونُ قلْبُكَ نَقِيًّا مُحِبًّا للِخَيْرِ والْجمَال فإنَّك تحزَنُ بشِدَّةٍ وتفْرَحُ بشِدَّةٍ كمَا أنَّنِى قزْمٌ رَقِيقُ القلْبِ.. ألا ترَى ذَلِكَ!!

اسْتَغْرقَ «نادرٌ» فِى الضَّحِك قَائلاً: يبَدُو أننى فِعْلاً أصْبَحتُ مِثْلكم يَا صَدِيقِى.

قالَ القزْمُ الفُسْتُقِيُّ: كفَى كلاَمًا وهيَّا بنَا فَالرِّفَاقُ فِى الانتِظَار.

دخلَ القزْمُ الفسْتُقِى إلى فُقَّاعِتِه ثم انْطلَق بها ودخَل «نادرٌ» والقزْمُ الأخضرُ إلى الفقَّاعةِ الأخْرَى.

قال القزْمُ: بعد أن نصل إلَى المرْكَبَة سَأُوَدِّعُكَ وَأرْحَل معَ رفَاقِى وأترُك لكَ هذِه الفقَّاعة ومَا أنْ تدخلَها حتَّى تنطَلِق وحْدَهَا لتُعِيدَك مِنْ حيْثُ أتيْتَ فورًا وبمجرَّد أنْ تغَادِرهَا فإنها سَتخْتَفِى وحْدَها كمَا تختَفِى فقَّاعةُ الصَّابُون.

انطلقَتِ الفقَّاعَة تتسَابَقُ معَ فقَّاعةِ القزْمِ الفسْتقُى وقدْ شَعر «نادرٌ» بالسَّعَادَةِ لأنَّه ذَاهِبٌ لرؤْيَةِ المرْكَبَةِ الفضَائِيَّةِ التى قَدم بهَا الأقْزَامُ مِنْ كوْكَبهم وَلكِن فجْأة سَمِعَ صوْتًا مرتفِعًا حتى أنَّه صرَخ، أما القزْمُ فقدْ بدَا فزِعًا، كانَتْ طائِرةٌ نَفَّاثةٌ تمر مسْرِعةً بجوَارهم فَإذا بالفُقَّاعة يَتَغيرَّ لوْنُها ثم بَدَأتْ تَتشَقْلَبُ فِى الهوَاءِ وَبدَاخِلهَا «نَادرٌ» والْقزمُ يَصرُخَان فِى فزَعٍ بيْنمَا هِى تهْبط إلَى الأرْضِ مُسْرِعةً صرخ «نادِرٌ»: ماذَا يَحدُثُ؟

قال القزْمُ: تشَبَّثْ بى بسُرْعَةٍ. وقَبْلَ أنْ تصلَ الفُقَّاعَةُ إلى الأَرْض تلاَشتْ فجْأَةً فوَجَد «نادِرُ» نفسَه مُمْسِكًا بالقزْمِ وهُمَا يسْقُطَان مَعًا إلَى الأَرْضِ، وفوق جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ رَمَادِيَّةِ اللَّوْنِ لَوْنِ التربة، سقطَ الاثنَانِ وَقدْ بَدَا عَلَيْهِما الإعْيَاءُ.

قالَ القزْمُ: الحَمْدُ لِلَّه أنَّ الفقاعَة لَم تتـلاَشَ إلا قبْـلَ الأرْضِ بعـدَّة أمْتـار وَإلاَّ هلكْنَا.

نظر «نادِرٌ» حوْلَهُ فِي خوْفٍ ثم قَالَ: شيء عَجِيبٌ إنَّها جَزيرَةٌ صَغِيرةٌ علَـى شاطِئ النهْر وقبل أنْ يُتمَّ عِبارَته ارتجَّت الأرْضُ مِنْ تحتِهمَا. فَتمَسَّك كل مِنهُما بالآخَر وَإذَا بالجزيرَةِ تنْتَفِضُ وَتتحرَّكُ فلَم تكن سِوَى ظهْر فِيل ضخْم نزَل يأْخذُ حمَّامَهُ اليوْمِيَّ فِي مَاءِ النَّهْرِ. كانَ يمْلأُ خرطُومَهُ بالمَاءِ ثم يَرُشُّه علَى ظَهْرِه حيثُ يجلِسُ «نادر» والقزم أسفل الماءِ يرْتَعِشَان.

قالَ «نادرٌ» وهُو يُحَاولُ أنْ يَحفظَ تَوَازُنَهُ: المشْكِلَةُ ليْسَت فِـي حمَّامِـه المَـائِيِّ ولكنَّها فيمَا بعْدَ ذَلِكَ نظرَ إلَيْهِ القزْم مُنْدَهِشًا ثم قالَ: ماذَا تعْنِي قـالَ «نـادر»: بعْدَ ذَلِكَ سيخْرُجُ الفيلُ إلَى الشَّاطِئ لـيرُشَّ جسـدَهُ كلَّـهُ بالرِّمَـال الناعِمَـةِ شـعر القزْم بالفزَعِ ثم تأمَّل الحيوانَ الضخمَ قائلاً: إذًا هـذا هُـوَ الفيـل ذلِـك الحيَـوانُ الذى تصْطَادُونَهُ ليَأخُذُوا أنْيَابَهُ وتصْنَعوا منهَا العَاج، إنَّه أحَدُ الحيوَانـاتِ التـى حدَّثْتُكَ عَنْها فقَد قلَّ عَـدَدُ الفِيَلَـةِ وربَّمـا تنْقـرضُ تمامًـا فِـي السـنواتِ القادمـةِ ولكن.. وقبْلَ أنْ يُتمَّ حَدِيثَهُ كانَ الفيلُ قدْ بدَأ فى حمَّامِهِ الرَّمْلِيِّ فأصبح «نادرٌ» والقزمُ بُقْعَتَيْن رَماديَّتَيْن تتحرَّكَان علَى ظهْرِ فِيل ضخْمٍ دَاخِل غابَةٍ وَاسِعَةٍ.

قال «نادر» وهو يمْسَحُ الغُبارَ عنْ فَمِهِ فِي ضِيقٍ: مَـا الَّـذِى حـدَثَ للْفُقَاعَـةِ! وكيفَ سنَعُودُ؟

قالَ القزْمُ: سَأتَّصِلُ بأحَدِ رفَاقِي ليْحضر لنجْدَتِنَا.

سأله «نادر» فِي دهْشَة: وكيْفَ تتصِلُ بهِ؟ أنَا لا أرى خطُوطًا تليفونية علَـى ظهْرِ ذلكَ الفِيل الْجَميل.

قالَ القزْمُ وهوَ يضحَـك: أنَـا لاَ أحتـاجُ إلَـى تِليفُـون أوْ جـهَاز لاَسِلْكِي. أنَـا أتحدَّث إلَى رفَاقِي بعَقْلِي هكذَا نتصل ببعْضِنَا على كوْكبِنَـا. ثـم اسْـتغرَقَ القـزْمُ عدَّة دقَائِق سَاكِنًا قالَ بعدها: إنَّ الأتْربَةَ العَالِقَةَ بجسَدِي تُعِيقُ الاتِّصَال. يجـب أنْ أغتسِلَ بسُرْعَةٍ.

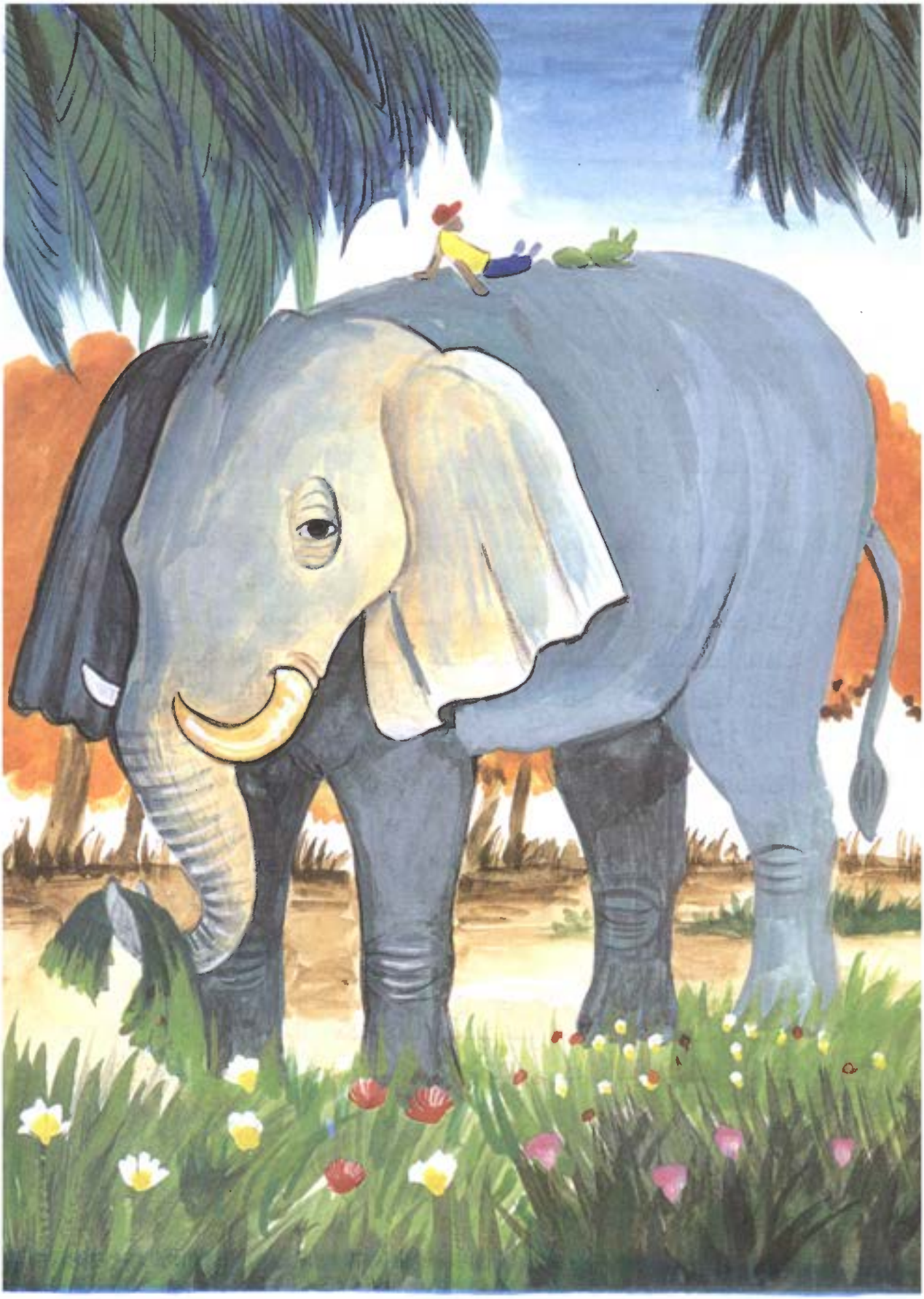

نظر «نادرٌ» حولَه فى خوفٍ وهو يتعلَّق بكفَّيْهِ فِى جلْد الْفِيلِ السَّمِيكِ حتى لاَ يَسْقُطَ فَقَدْ كَانَ الفيلُ يتنَاوَلُ غِذائَهُ منْ بعْض الشجَراتِ العَالِيَةِ.

ثم قالَ «نادر»: يجبُ أنْ نهبط منْ علَى ظهره ولَكِن كيف؟

فكر القزْمُ ثم قَال: سَنَسِيرُ فوْقَ ظَهْره ثم نَسِيرُ علَى رَأْسِه حَتَّى نصِلَ إلَى أنيْابِهِ وعَلَى طَرَفِ أنْيَابِهِ نجلِسُ وَحِينَئِذٍ يمْكِننَا التَّعلق فِى أىِّ فرعٍ مِنْ فرُوعِ الأشْجَار ثمَّ نهْبطُ مِنْهَا إلَى الأرْض.

قالَ «نَادِر»: أنَا لمْ أقُلَ لَكَ إنَّنِى منْ لاَعِبى السيْرك كى أسْتَطِيعَ القِيامَ بتِلْكَ الأعْمَال أنَا أرَى أنْ ننْتظِرَ حتَّى يذْهَبَ إلَى النَّهْر مرَّة أخرَى ثم نَقْفِز عَنْ ظهرْهِ إلَى المَاءِ وَنسْبَح حتى الشَّاطِئ فنكونَ قَدِ اغتَسَلنَا وتستطيعَ الاتصالَ برفَاقِك.

قالَ القزْمُ: حَسنًا وَلكِن مَن يَدْرى متَى يذْهَبُ الصَّدِيقُ الضخْمُ إلَى النهْرِ مَرَّة أُخْرَى.

نظر «نادرٌ» حوْلهُ ثم قالَ: إنَّه لمْ يبْتَعدْ كثيرًا إنها عِدَّةُ أمْتَارٍ وَأظنُّهُ بعْدَ أنْ ينْهِى وجْبَتَهُ منْ فرُوعِ الأشْجَار سَيذهَبُ لتنَاوُل بعْضِ الماءِ أوْ هكَذَا أرجُو وأتَمَنَّى!!

مضَى الوقتُ وَالفِيلُ الضخْمُ يتحرَّكُ بيْن الشجَراتِ فِى هدُوء فيتَنَاولُ مِنها الفرُوعَ الشديدةَ الخضْرَةِ، كانَ القزْمُ يُكررُ محاوَلاَته فِى الاتِّصَال برفَاقِهِ بدُون فَائِدَةٍ حتى شعرَ بالتَّعبِ وَاسْتَلْقَى علَى ظهْره فوقَ ظهْر الفِيل بينَما جَلَس «نادرٌ» يفكرُ فِى أبيهِ ترَى كمْ مضَى مِنَ الوَقْتِ منْذُ بَدَأ رحلَتهُ معَ القزْمِ وَهَل شعر وَالِدُهُ بغيَابه؟ ترى هَل يعُودُ إلى وَطنِهِ؟ أمْ أنَّهُ سيْبقَى هُنا فِى الغَابَة مَا بَقِىَ لهُ مِنْ عُمْرٍ؟

عشَراتِ الأسْئلَةِ سَأَلهَا «نَادِر» لِنفْسِه وهُوَ يفكرُ فِى كُلِّ مَا رَآهُ يَحْدُثُ فِى الأرْض ولمْ يَكُن يَعْرِفهُ مِنْ قَبْلُ.

وَفجْأَةً تحرَّكَ الفِيلُ فِي اتِّجَاهِ النَّهْر فَهَبَّ وَاقِفًا هُوَ وَالْقزْمُ حتى وصَلَ الفِيلُ إلَى مَاءِ النهَّر فَأمْسَكَ كُل منهُما بالآخَرِ وَقفزَا قفزَةً سَرِيعَةً إلى مَاءِ النَّهْرِ العَمِيقِ

ثم سَبَحَا حتَّى رَضَلاَ إلى الشَّاطِئِ لمْ يكن الفِيلُ قَدِ ابْتَعَد عَن الشَّاطِئِ سِوَى عدَّةِ أمْتَار ولكنَّ حَجْمَهُمَا الصغير جعَلَهُمَا يَقطَعَانِهَا فِي وقْتٍ طَوِيل.

وعلَى الشَّاطِئِ هتَفَ «نَادِرٌ»: فَلْتُجْرِ اتِّصَالَكَ بسرعَةٍ فقَدْ بَدَأتُ أَشْعُرُ بالقَلَق. كانَ صوْتُهُ يرْتَعِشُ وهُوَ يقول عبَارتَهُ الأَخِيرةَ إذْ سَمِع صَوْتَ زَئِير مرْتفِع يَصِلُ إلَى أسْمَاعِه ولَمْ تمْض عدَّة دَقَائِقَ حتَّى قَالَ القزْمُ ضَاحِكًا: سيأْتِي أحَدُ الأَصْدقَاءِ فوْرًا. وقبلَ أنْ يُتم عبَارتَهُ رأى الاثْنَان فقَّاعَةً تقْتَرب مِنهُما بسرْعَةٍ وبدَاخِلها القزْمُ الفُسْتُقِيُّ فقفزَ الاثنَان بدَاخِلها.

قال القزْمُ: هل أعيدُكَ إلَى وَطَنِكَ.

فقَال «نادرٌ» وقَدِ اطْمَأَنَّ: ليسَ قبْل أنْ أرَى المركبَةَ وَأوَدِّعكَ يَا صَدِيقِي.

ابتَسَمَ القزْمُ فِي سعَادَةٍ ثمَّ انطلَقتِ الفُقَّاعَةُ بسُرْعَةٍ ولمْ تمْض عدَّةُ ثوَان حتى هبَطَت الفقَّاعَةُ بيْنَ أشجَار أحَدِ الغَابَاتِ الكثيفَةِ، نظرَ «نَادرٌ» حوْلَهُ فإذَا بعَشرَاتِ الفقَّاعَاتِ بدَاخِلها أقزَامٌ خضْرَاءُ جَمِيلةٌ وعنْ بعْدٍ كانَتِ فقَّاعَةٌ ضخْمَةٌ تنعَكِس عليْها أشِعَّةُ الشَّمْس المُتَسَللةُ من بيْن أورَاق الأشجَار فتبرُقُ عَلَى سَطْحِهَا عَشَرَاتُ الأَلوَان المُتدَاخِلَةِ كمَا علَى سَطْحِ فقَّاعَةٍ منَ الصَّابُون حتَّى أنه لمْ يكُن يرَى مَا بداخِلَهَا، مَدَّ القزْمُ الأخضرُ يدَهُ إلى «نادر» مصَافِحًا ثم قَالَ: الآنَ أُوَدِّعكَ يَا صَدِيقِي ولاَ تنْسَى كلَّ مَا رأيْتَ وفَهِمْتَ فرُبَّما تنفعُ بهِ قوْمَكَ الأرضيين يومًا مَا.

ابتَسمَ «نَادرٌ» قَائِلاً للْقزْمِ: أتمنَّى لَكَ حظًّا سَعِيدًا أيُّهَا القزْمُ النقِيُّ الْجَمِيلُ.

فقالَ القزْمُ: وَأنَا أيْضًا أتمنى لَكَ وَلسُكَّان كَوْكبكَ مَزيدًا منَ السَّعَادَةِ وَالنقاءِ. ثم تَلفَّتَ حَوْلهُ فإذا بجمِيع الأقْزَامِ يغَادِرُونَ فقَّاعَاتِهِمْ فتختَفِي فورَ مُغَادَرَتِهم لَها ثم يتوجَّهُونَ إلى الفقاعةِ الضخمةِ ذاتِ الألْوَان الرَّائِعة ويختفُونَ دَاخِلَهَا.

قالَ القزْمُ الأخْضَرُ «لِنَادِر»: انتبه ألا تُغَادِر الفقاعةَ قبلَ أنْ تصِل وإلاَّ اخْتَفَت ثم هَبَط القزمُ منْطلقًا خلف أصْدِقائه لكنه عَادَ يجرى بسُرْعَةٍ ودَخَل إلَى الفقَّاعَةِ مرَّة أخْرى فنَظَر إلَيْهِ «نادِرٌ» فِي دَهْشَةٍ قَائِلاً: مَاذَا حَدَثَ؟!

قالَ القزْمُ وَهُو يُخرِجُ منْ بيْن أصَابعِه زهْرَةً جَمِيلَةً: كِدْتُ أنسَى.. يجبُ أنْ تأكُلَ هَذِهِ كَىْ تَعُود إلى حَجْمِكَ الطَّبيعىِّ أيُّهَا الأرَضِىُّ وَإلاَّ فلَن يَراكَ أهْلُكَ أبدًا.

ضحِكَ «نادِرٌ» وَضَحِكَ القزْمُ ثم انطَلَق مبْتَعِدًا حتى اخْتَفَى دَاخِلَ الفقَّاعَةِ المُلَوَّنةِ التَّى ارتفَعَتْ فِى الفضَاءِ بسرعَةٍ حتَّى اختَفت. ومَا أن اخْتَفَتْ حتى انطَلَقَتِ الفقاعَةُ التى يسْتَقِلها «نَادِرٌ» بسرعةٍ رَهِيبَةٍ حتى أنه لمْ يَكُن يرَى ما حوْلَهُ.. وبعْد عِدَّة دقَائِق شعر بالفقَّاعِة تهْبط وراء الحدِيقَةِ وَرَأى عمْلاَقًا ضخْمًا يتلفَّتُ حوْلَهُ فِى قلَق لمْ يَكنُ هَذَا العِمْلاَقُ سِوَى وَالِدِه يبْحَثُ عنْهُ ومَا أن لاَمسَتِ الفقَّاعَةُ الأرْضَ حتى اختفَتْ، فقرَّب «نَادِر» الزَّهرَة العَجِيبَةَ منْ فَمِه وَأكَلَها فَإذا به يدُور بسُرْعَةٍ ورأسُه تَغِيبُ عَن الوَعْى لِدقَائِقَ ثم فتحَ عيْنَيْهِ فَإذَا هُوَ جَالِسٌ علَى الأرْض فوْقَ الزهُور فقَفَزَ بسُرْعَةٍ حَتى لاَ يتْلِفُها ثم انطلق إلَى حيْثُ وَالِده الَّذى مَا أن رآهُ حتَّى هتَفَ: أينَ كنت يَا «نَادرُ»؟! لقدِ انزَعَجْتُ بشدَّةٍ. إنَّنِى أبْحَثُ عَنكَ منْذُ ساعَةٍ. هَل ابتعدْتَ عَن الحَديقَةِ؟!

دَارتْ عينَا نَادر حوْلَهُ وَقد ابتسَمَ علَى الرَّغْمِ منْه قَائِلاً: أنَا لمْ أبْتَعِد عَنِ الحَدِيقَةِ لاَ مِئاتِ الأمْيَال ولاَ حَتَّى مِتر وَاحِدٍ.

فقالَ الأَبُ فِى دَهْشَةٍ: إذَنْ أيْنَ اخْتَفَيْتَ؟

فقالَ «نَادِر»: لاَ يَهُمُّ يَا أبى أين اخْتَفَيْت ولكنَّ المهمَّ أنَّ هنَاك الكثير أريدُ أن أرْوِيَه لَكَ عن أشياءَ رأيتُهَا!!! أتْصِدُ سَمِعْت عنْهَا فِى نشرَاتِ الأَخْبَار وقرَأتُ عنْهَا فِى الصُّحُفِ، نظرَ إليْهِ والِدُه قَائِلاً: أنَا لاَ أفهَمُ شيْئًا.

قالَ «نادر» وهُو ينظرُ حَوْلَهُ: ليتنى أسْتَطِيعُ أنْ أجْعَلَ كُلَّ النَّاسِ تفْهَمُ كَمَا فهمْتُ أنَا وَلكننى سَأتحدَّثُ كثيرًا فَرُبَّمَا يعْرفُونَ.

رقم الإيداع	١٩٩٩/٤٤٦٨
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5781-8

٧/٩٨/٦٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)